قراءة في كتاب الحدث السياسي للبروفيسور عدنان حب الله

د. مرسلينا شعبان حسن
التحليل النفساني – سورية
mar-selena@hotmail.com

لا يوجد هنا طرح فكري موثوق به ولا طرح سياسي موثوق به كذلك ، وكأن الله يحضر فقط في الأذهان حين العجز ..

أتساءل كيف لدول أوروبا والعالم المتقدم بالمجمل ان تنجح بعد فصل الدين عن الدولة النتيجة الأوضح للثورة الفرنسية، الثورة الأشهر في تاريخ العالم الحديث ؟!..

كلمة السياسة لغةً تعني: القيام على الشيء بما يصلحه ، وفي الحديث الشريف "كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبيائهم

الوعي السياسي هو حالة من اليقظة الفكرية يدرك فيها الانسان نفسه وقدرته على التفهم والتحليل وهو عكس اللايقظة او السبات او اللاوعي

ان الحدث السياسي هو في الغالب الحدث المتحكم بمصيرنا وبلقمة عيشنا ودفئنا والاهم بأمننا المادي والمعنوي ، حيث الحاجة إلى الأمان حاجة

يقول المحلل النفسي المفكر والناقد المعاصر " سلافوي جيجك" : الإحداثيات التي يتم من خلالها تكوين التجربة المعاشة وتفعيلها هي "سياسية في الأساس" وفقًا للافتراض المسبق لـ للآخرالكبير استنادا لصياغة جاك لاكان .

مما يعني ضمنيًا أن الدستور الذي يحكم الانسان هو من الخارج ؛ كما أشار لاكان في عام 1950 .

وبذلك لن تكون الفوضى الاجتماعية السائدة الناتجة عن قول دوستويفسكي ، "إذا لم يكن الله موجودًا ، فكل شيء مسموح به" ، ولكن في الواقع انعكاس هذا القول على شرقنا العربي وعالمنا العربي بعامة ، تعني "مات الله ، لا شيء مسموح به بعد الآن" ، كل شيء محظور وممنوع على العرب لأن العرب لاحول لهم ولا قوة الا بالله ، عبارات نسمعها كثير كثيرا في يومياتنا واذني الفتها أكثر من جميع ما سمعته خلال السنوات العشر الأخيرة (سنوات الحرب في بلدي) سوريا ، عبارات من مثل : "سوريا الله حاميها/ مالإلنا غيرك يالله/ الله يفرج ...

حيث لا يوجد هنا طرح فكري موثوق به ولا طرح سياسي موثوق به كذلك ، وكأن الله يحضر فقط في الأذهان حين العجز .. وهنا أتساءل كيف لدول أوروبا والعالم المتقدم بالمجمل ان تنجح بعد فصل الدين عن الدولة النتيجة الأوضح للثورة الفرنسية، الثورة الأشهر في تاريخ العالم الحديث ؟!..

كلمة السياسة لغةً تعني: القيام على الشيء بما يصلحه ، وفي الحديث الشريف "كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبيائهم (أي يتولون أمورهم – ناصر زين أحمد، ليلى عيسى أبو قاسم، ص:9)

أما الوعي السياسي هو حالة من اليقظة الفكرية يدرك فيها الانسان نفسه وقدرته على التفهم والتحليل وهو عكس اللايقظة او السبات او اللاوعي (المرجع السابق) بينما الثقافة هي الأداة الأساسية للسيطرة على الوعي السياسي وتوجيهه.

وبناء عليه يمكن تعريف الوعي السياسي بأنه : ادراك الانسان بما هو حوله وبالأخرين ، وهو معرفة الانسان لذاته وواقعه وامكانياته من خلال الآخرين في سياق تفاعلات الحياة المختلفة .

استعرضت هذه المقدمة للإشارة إلى ان الحدث السياسي هو في الغالب الحدث المتحكم بمصيرنا وبلقمة عيشنا ودفئنا والاهم بأمننا المادي والمعنوي ، حيث الحاجة إلى الأمان حاجة من الحاجات الأولية وفق التصنيفات النفسية المعروفة لسلم الحاجات الإنسانية ..

من هذه البوابة سوف اقدم قراءتي حول كتاب استاذي المرحوم عدنان حب الله : الحدث السياسي دراسة نفسية تحليلية .

إن فكرة ما عن الآخر ، قد تكون هي الضامن للمعنى من الحياة ، هذا المعنى الذي من خلاله يوجد تأكيد متخيل حول موضوع مصيري للإنسان ، مهما كان الوهم وفق لاكان الذي يجد من أن عدم خداع بنية الخيال هو خطأ كبير ، إذ سيكون تبعا لذلك الركود للواقع الراهن(الاجتماعي والسياسي).

في التحليل النفسي يمكننا أن نفهم محاولات إحداث التغيير كما هو الحال في كثير من الأحيان في محاولة لتعزيز الهوية.

والأمثلة التي تسلط الضوء على مثل هذه التناقضات الظاهرة تظهر في سلوك الأفراد الذين يدخلون التحليل بهدف معلن، وذلك بحثا وتحقيقا لحريتهم الوجودية ، لوقف نمط الدخول في علاقات الاستبداد. قد يصاب هؤلاء الأشخاص بالإحباط من قبل المحلل الذي لا يخبرهم بكيفية تغيير أنماطهم وقد يجدون التحليل غير محتمل لأنه ليس مفيدًا بما فيه الكفاية. وبالتالي فإن الجهد نفسه نحو التغيير كان في الواقع محاولة لتعزيز الشيء نفسه، لكونهم يجدون المحلل أبا او في موقع سلطوي من سلسلة الرموز الابوية.

إن الحالة التي ابتليت بها مثل هذه الجهود نحو التغيير هي ما يشير إليه لاكان (2006: 80) عندما يتحدث عن "عقدة" "العبودية الوهمية" ومن قبله الكاتب الفرنسي الشهير: إتيان دو لابوسيه، في كتابه العبودية المختارة، حيث تكون هوية الذات في خدمة الدلالات التي تنتج وتثير رغبتها.

في بعض الأحيان ، قد تؤدي هذه الخدمة ، بغض النظر عن مدى الرغبة الواعية في أن تكون غير ذلك ، إلى تكرار نفس الشيء بدلاً من تغيير "قواعد التضمين" ، سواء في التحليل أو في أي نشاط فكري آخر (186،المرجع السابق).

في الوضع السياسي والتحليلي النفسي اليوم بطريقة ما ، تصبح أي أعمال مقاومة دائمًا كأنماط سلوكية معاشة مسبقا وفقًا لشروط لاكان ، الرغبة في سيد (آخر)" (187). ما يوجد على الجانب الآخر من هذا: المجهول ، حتى المستحيل ، والمطلب الأخلاقي تجاه ذلك في النظرية والممارسة السياسية.

هذا ما وجدت أن الكتاب يشير إليه في المخطط التفصيلي ، ويوضح إلى حد ما مساره ، والذي ينتقل ، بكلماته الخاصة ، من `` الأهمية السياسية للتحليل النفسي " ، من خلال `` التحليل النفسي اللاكاني والسياسي " (فيما يتعلق بأوديب) ونظرية الخطابات اللاكانية إلى "التحليل النفسي والشخصيات السياسية اللاعبة بمصير المنطقة والعالم ربما".

إنه يغطي قدرًا كبيرًا من الموضوعات المهمة للتحليل النفسي والسياسة وفق النظرية اللاكانية في التحليل النفسي، وهنا تجدر الإشارة الى ان البروفيسور "عدنان حب الله" كان واحدا من تلامذة جاك لاكان المقربين .

بالعودة الى النقطة التي ابتدأتها واشرت اليها في مطلع كتابتي : بأن الحدث السياسي لابد أن يقابله

من الحاجات الأولية وفق التصنيفات النفسية المعروفة لسلم الحاجات الإنسانية

في التحليل النفسي يمكننا أن نفهم محاولات إحداث التغيير كما هو الحال في كثير من الأحيان في محاولة لتعزيز الهوية.

في الوضع السياسي والتحليلي النفسي اليوم بطريقة ما ، تصبح أي أعمال مقاومة دائمًا كأنماط سلوكية معاشة مسبقا وفقًا لشروط لاكان ، الرغبة في سيد (آخر)"

أن الكتاب يشير إليه في المخطط التفصيلي ، ويوضح إلى حد ما مساره ، والذي ينتقل ، بكلماته الخاصة ، من `` الأهمية السياسية للتحليل النفسي " ، من خلال `` التحليل النفسي اللاكاني والسياسي " (فيما يتعلق بأوديب) ونظرية الخطابات اللاكانية إلى "التحليل النفسي والشخصيات السياسية اللاعبة بمصير المنطقة والعالم ربما".

ان البروفيسور "عدنان حب الله" كان واحدا من تلامذة جاك لاكان المقربين .

يطرح الكتاب تساؤلات حول حوار الحضارات وكيف يتحول الحوار الى مأزق ومنه الى صراع ،او يضيء للفكرة التي طرحها "فوكوياما" بعد

وعي سياسي، وهنا تكمن الجدوى من هكذا كتب .الوعي السياسي الذي يشتمل على أربعة محددات رئيسية هي :

- رؤية شاملة للبيئة الاجتماعية والثقافية والوطنية والعالمية .
- الادراك الناقد: للواقع الداخلي المحلي والخارجي والاقليمي والعالمي .
- الاحساس بالمسؤولية التي جوهرها الالتزام بالثوابت الايجابية والاجتماعية القيمية والوطنية والانسانية .
- الرغبة في التغيير مع الاحتفاظ بالثوابت الوطنية والاجتماعية القيمية(عبد الكريم بكارة،2000، ص:9)

كما يطرح الكتاب تساؤلات حول حوار الحضارات وكيف يتحول الحوار الى مأزق ومنه الى صراع ،او يضيء للفكرة التي طرحها "فوكوياما" بعد احداث سبتمبر الذي يؤكد فيها على انه لا يجد في الافق المنظور غير الحضارة الغربية المبنية على القيم التالية : الديموقراطية والليبرالية وحرية التبادل وهذا خلاف "هنتغون" بأن هناك حضارات ستة او سبع تتصارع فيما بينها لكي نثبت وجودها وتبين انها هي الافضل والانسب.

أما هنتغون فالعالم بالنسبة له ينقسم الى قسمين : قسم يدين بالحضارة الغربية وقسم يقاومها ويرفض القيم التي تقوم على أساسها، وهذه الدول الرافضة هي مجمل العالم الثالث ماعدا تركيا التي لحقت بالغرب وطبقت علمانية الدولة (بكارة، ص31)

لا وجو لحضارة من دون عدالة ولا قيمة لحضارة ان استباحت حق الانسان بأرضه ، واستلبت موارده وثراوته.

حيث يستنتج هنتغون بأنه اذا كانت الحضارة الغربية في خطر لابد من الدفاع عنها، فينبري ليقول لا يوجد سوى امريكا البلد الرائد لتتبؤ مثل هذا العمل الانقاذي و يتساءل عن ما يهدد الحضارة الغربية في زماننا الحاضر هل هو من الداخل ام الحاضر؟

اذا الخطر قد يأتي من الداخل هل وصلت الحضارة الغربية الى النقطة التي سينطلق منها التفكك والافول والمفكرون منقسمون حول ذلك .

الاشارة المهمة في هذا الكتاب حول فصامية ديمقراطية امريكيا، الديمقراطية الحديثة لم تعد نموذجا لكونها اصبحت تخدم شعوبا وتؤمن رفاهيتها على حساب شعوب اخرى فهي ديمقراطية نرجسية.

الاشارة الى نشوء الخطاب العلمي بعد ان تحرر بفضل الفلاسفة من المحرمات الدينية، والمعتقدات الغبية التي كانت مسيطرة في القرون الوسطى حتى القرن السابع عشر. من مميزات الخطاب العلمي انه لا يعطي اية اهمية للإنسان بقيمه وموضوعه الذات الانسانية معدومة الوجود في تكوينه، وهذا ما يفسر الحروب المدمرة التي عرفها القرن العشرين ، الاف القتلى بكبسة زر واحدة دون ان تحرك اي شعور بالذنب او بالمسؤولية من قبل المنفذين فكل البشر اعداد تدخل في حسابات وارقام تخرج عن محتواها الانساني(ص:53)

اضافة الى الاكتشافات الجينية والبيولوجية التي ان استمرت من دون رقيب من الممكن ان تشكل

احداث سبتمبر الذي يؤكد فيها على انه لا يجد في الافق المنظور غير الحضارة الغربية المبنية على القيم التالية : الديموقراطية والليبرالية وحرية التبادل

أما هنتغون فالعالم بالنسبة له ينقسم الى قسمين : قسم يدين بالحضارة الغربية وقسم يقاومها ويرفض القيم التي تقوم على أساسها، وهذه الدول الرافضة هي مجمل العالم الثالث ماعدا تركيا التي لحقت بالغرب وطبقت علمانية الدولة

لا وجو لحضارة من دون عدالة ولا قيمة لحضارة ان استباحت حق الانسان بأرضه ، واستلبت موارده وثراوته.

الديمقراطية الحديثة لم تعد نموذجا لكونها اصبحت تخدم شعوبا وتؤمن رفاهيتها على حساب شعوب اخرى فهي ديمقراطية نرجسية.

من مميزات الخطاب العلمي انه لا يعطي اية اهمية للإنسان بقيمه وموضوعه الذات الانسانية معدومة الوجود في تكوينه، وهذا ما يفسر الحروب المدمرة التي عرفها القرن العشرين ، الاف القتلى بكبسة زر واحدة دون ان تحرك اي شعور بالذنب او بالمسؤولية من قبل المنفذين

يركز البروفيسور" عدنان حب

خطرا على الإنسانية، وهذا ما وصل العالم اليه في العام2020 من جراء تفشي فايروس كورونا الذي مازال محيرا للعلماء كيفية الحد من انتشاره لدرجة الطرح ان هو سيكون قدر الإنسانية الذي عليها التعايش معه ..

ووفقا لقول" جاك لاكان": ان ما تمنحك اياه الحداثة في مكان، تأخذه منك في مكان آخر.

يركز البروفيسور" عدنان حب الله" في كتابه على ان ازدهار الحضارات لا يمكن ان يزدهر الا بالتحاور فيما بينها، وخير مثال عربي على ذلك الازدهار الذي حصل بالعصر العباسي بعد ان فتحت ابواب الحوار على الحضارات الاخرى كالفارسية والبيزنطية والاغريقية ....المسرح الاول لحوار الحضارات هو الذات نفسها لأنها مخزن الفكر، وتحمل في تكوينها التراث الحضاري الموروث والمكتسب .

ولكي تستطيع ان تحاور يجب ان تتحرر من المعتقدات السلفية التي كانت صالحة للأسلاف وبحكم مرور الزمن فقدت اهميتها بالنسبة للحاضر وهذا يتطلب معرفة وتوعية ومناخ ديموقراطي يسمح للفكر ان ينطلق . ان اشكاليات الحوار في بلداننا تتصل ب:العلاقة مع المرأة – المقدس ، نظام حكم الاكثرية الذي لم يحصل اي تصور له منذ عهد الامويين، ليبقى الحكم بيد الحاكم لأنه معصوم عن الخطأ.

المنهاجية العقلانية العلمية ، حيث مرجعية القرآن والحديث تشكل حاجز اذا لم توضع في اطارها الديني والإيماني ليبقى العلم سجين النص لا يتقدم الا بإذن منه. غياب مفهوم الفرد في التراث الفكري الاسلامي الذي هو الاساس بفكر الغرب لتحد القوانين حقوقه وواجباته وليس العشيرة او القبيلة ، وهذا ما جعل علم النفس غريبا عنا الا في مدارس الصوفية لأنه لا يوجد تصور للبنية الذاتية واستغلال الداخل النفسي الا في بعض التجارب التي اتت عن طريق المذاهب الصوفية وخاصة الفيلسوف ابن عربي.

فلا يمكن تقبل الديمقراطية من دون نشوء مفهوم الفرد إذا بقي الحاكم يخاطب الرعية بالجمع من دون فرد.

هناك اضاءة أخرى نجدها في هذا الكتاب تقضي بأن خطورة النظام الامريكي تكمن في اللقاء بين البروتستانتية الجديدة والصهيونية اضافة الى خطورة امريكا بقوتها الى درجة انها اصبحت تتحكم وتسيطر على المعمورة وكأنها تتنافس مع الخالق لتنصب نفسها مكانه كمدبرة للكون.. وايديولوجية قانون دويل loi de Doyle الذي ينطلق من انه اذا عمت الديمقراطية بين الدول تنتفي الحروب ويصبح الحوار هو المفصل لحل النزاعات ، المشروع الأمريكي يتجاهل خصوصية الشعوب وتنوع ثقافتها ومعتقداتها الدينية، مما يؤدي الى تغذية الإرهاب .

هناك إشارة تحليلية هامة على ان بوش وعلاقته مع ظل الاب ، حيث ان بوش الاب والابن عقدة تتحكم بكل العالم. حيث الحدث السياسي النفسي يلتقي مع السياسي والاقتصادي.

قتل الاب الرمزي والاحلال محله واللجوء الى الدين طلبا لإحياء المثال الأعلى ، تنصيب الله بديلا عن الاب حتى يتحمل قتل الاف البشر ، باعتبار أن المقدس يقبل الضحايا . المحللون النفسيون ولاسيما "جاك لاكان" شددوا على التفرقة بين المعرفة العلمية والحقيقة وقد تكون الأولى في اتجاهها وتقدمها

الله" في كتابه على ان ازدهار الحضارات لا يمكن ان يزدهر الا بالتحاور فيما بينها، وخير مثال عربي على ذلك الازدهار الذي حصل بالعصر العباسي

لكي تستطيع ان تحاور يجب ان تتحرر من المعتقدات السلفية التي كانت صالحة للأسلاف وبحكم مرور الزمن فقدت اهميتها بالنسبة للحاضر وهذا يتطلب معرفة وتوعية ومناخ ديموقراطي يسمح للفكر ان ينطلق .

غياب مفهوم الفرد في التراث الفكري الاسلامي الذي هو الاساس بفكر الغرب لتحد القوانين حقوقه وواجباته وليس العشيرة او القبيلة

لا يمكن تقبل الديمقراطية من دون نشوء مفهوم الفرد إذا بقي الحاكم يخاطب الرعية بالجمع من دون فرد.

اضاءة أخرى نجدها في هذا الكتاب تقضي بأن خطورة النظام الامريكي تكمن في اللقاء بين البروتستانتية الجديدة والصهيونية اضافة الى خطورة امريكا بقوتها الى درجة انها اصبحت تتحكم وتسيطر على المعمورة وكأنها تتنافس مع الخالق لتنصب نفسها مكانه كمدبرة للكون..

المشروع الأمريكي يتجاهل

معاكسة للحقيقة .

والسؤال الأكبر ما هو مصير الديمقراطية خارج حدودها وهل الانسان الغربي هو نفسه داخل وطنه وخارجه؟

أمريكا هي البلد الوحيد الذي لم يتعرض لاعتداءات رغم انها هي المعتدية الأبرز على بلدان كثيرة وقد فعلت كل المحرمات العسكرية عبر حروبها وتعدياتها والشواهد كثيرة على ذلك ، ولذلك في نهجها السياسي تعتمد تشكيل تصور ما لهذا المعتدي المفترض حتى عبر أفلام "هليود" من احتمالية غزو أمريكا من سكان الكواكب الأخرى ، حيث الداعي لذلك الإشارة الى أن أمريكا مستهدفة ، والعدو المفترض ان لم يكن من الأرض سيكون من خارج الأرض . يجسد الشر لأمريكا بقدرة الله، وهنا استخدام الله لإقامة المآسي والجرائم في محاكم التفتيش خلال القرون الوسطى . الله قريب من الأمريكيين هذا ما حاول جورج بوش مخاطبة الامريكين به بعد احداث (11) سبتمبر ، الله الداعم للسياسة الامريكية هو نفسه التي تؤمن به الشعوب الأخرى ؟! وانهم يختلقون هذا المعتقد لكي يضمنوا راحة ضميرهم من الأذى ولا يعيدون النظر في الأسباب والمسببات.

إشارة الى ان للأديان السماوية فضل كبير في نقل الانسان من المنظور الضيق والمحدود الى اللامنظور والى الأفق الكوني اللامحدود . كل هذه التساؤلات طرحها حب الله في كتاب الحدث السياسي بدراسته التحليلية للحدث . ويضيف أيضا أمثلة أخرى يوظف بها قراءته التحليلية للحدث السياسي في العالم وفي بلداننا : يشير "حب الله" أن الطوطمية لم تنتفي من أوروبا وامريكا حيث أصبحت العلمنة شعار الحداثة، كما ظهرت قيما جديدة تحل محل الطوطم وأصبحت مقدسات لا يمكن المس بها، وهي تتعدى في مفهومها مصلحة الجماعة والوطن .

ليكون "الدولار" هو الطوطم الجديد لأمريكا ، إذ أصبحت طاعة الدولار تؤمن لاتباعه الجنة في السماء ولديه اتباع كثر في عالمنا العربي بالتحديد .

من أن "الهوام النرجسي" لرأس المال يصبح بمثابة الطوطم الذي يحل مكان الاخر الكبير ، الروحانية التي ترافق الدولار تعود الى وعد بالسعادة يتعدى الحدود الجسدية.

ان الثقافة السياسية التي تهدف اليها عمليات التنشئة واعادة التنشئة السياسية الى بنائها وتنميته وتوجيهها الوجهات المرغوب فيها، فهي في جوهرها عبارة عن عملية توزيع معين للاتجاهات والقيم الاحاسيس والمعلومات والمهارات السياسية .(عامر رمضان بوضاوية، 2002،ص:35)

وفقا لم تقدم أخلص الى القول : أن كتاب البروفيسور عدنان حب الله هذا (الحدث السياسي)، تناول به افكارا غزيرة ومعلومات تاريخية مستفيضة ليقف عندها، ويفكك معانيها ويوظفها في ابراز فكرته حول اهمية الوعي بالحدث السياسي الوعي الذي هو عماد العمل في التحليل النفسين لم يرتبط بالتعامل مع مبدأ الواقع، وتأكيد على المثل العليا والثوابت الوطنية والانسانية .

الاشارة الهامة والايجابية لهوية العربي والمسلم بخاصة التي أشارها لها (عدنان حب الله) رحمه الله : ان العالم العربي قديما وحديثا غزاه محتلين عديدين كان ابرزهم التتار والاتراك الذين انتصروا على العرب عسكريا ، ولكن لم يكن لهم تاريخيا حضاريا لذلك انتصروا على المسلمين ولكنهم لم ينتصروا على المشروع الحضاري السائد حينها وهو الاسلام، فأسلموا وذابوا في الخضم الثقافي الاسلامي .

كذلك كان للاتراك الذين تميزوا بقدرتهم العسكرية التي هددت فيينا وبإمكاناتهم في ادارة شؤون الحكم.

خصوصية الشعوب وتنوع ثقافتها ومعتقداتها الدينية، مما يؤدي الى تغذية الإرهاب

المحللون النفسيون ولاسيما "جاك لاكان" شددوا على التفرقة بين المعرفة العلمية والحقيقة وقد تكون الأولى في اتجاهها وتقدمها معاكسة للحقيقة .

أمريكا هي البلد الوحيد الذي لم يتعرض لاعتداءات رغم انها هي المعتدية الأبرز على بلدان كثيرة وقد فعلت كل المحرمات العسكرية عبر حروبها وتعدياتها والشواهد كثيرة على ذلك

الله الداعم للسياسة الامريكية هو نفسه التي تؤمن به الشعوب الأخرى ؟! وانهم يختلقون هذا المعتقد لكي يضمنوا راحة ضميرهم من الأذى ولا يعيدون النظر في الأسباب والمسببات.

ان للأديان السماوية فضل كبير في نقل الانسان من المنظور الضيق والمحدود الى اللامنظور والى الأفق الكوني اللامحدود .

"الدولار" هو الطوطم الجديد لأمريكا ، إذ أصبحت طاعة الدولار تؤمن لاتباعه الجنة في السماء ولديه اتباع كثر في عالمنا العربي بالتحديد .

الشيء الذي افتقده العرب حينها ومازالوا الى اليوم ، قابعين على وطأة هذه المشكلة كما يجد" حب الله" بأن ما يخص العلوم والفنون والآداب والفقه واللغة، فكان العثمانيون بحاجة للعرب فاقتبسوا منهم أكثر انجازاتهم الحضارية بما في ذلك الاحرف العربية وبعض المفردات التي لم يكن لها وجود مسبقا لديهم مثل (حرية – حكومة – – مواطن) .... والتاريخ الحديث يوضح أنه منذ الحكم العثماني الى اليوم تجمد الاسلام والفكر الاسلامي ، لأن علمائه فقدوا حرية العمل والاجتهاد دون العودة الى مرجعية السلطان عبر اكليروس اسلامي مركزه اسطنبول متمثل بالغنى العالي على غرار الباب العالي .

حيث أصبحت وظيفة رجال الدين والى اليوم بالإضافة الى تدبر شؤون العامة والاحوال الشخصية بإصدار الفتاوى بما يصب في مصلحة الحاكم ودعم نفوذه في الاواسط الشعبية.

ان تجمد الفكر وانغلاق افق الابداع على مدى ستة قرون من حكم العثمانيين كانت بالقرون الوسطى في أوروبا ، وكانت سببا في تخلف العرب الحضاري والتخلف عن مسيرة الغرب، حيث ان فقهاء الاتراك أصدروا فتاوى يحرمون اقتباس علوم الغرب الا ما يخدم القدرة العسكرية التي تقوي نفوذ الحاكم.

لقد بقي الهاجس الاسلامي يشكل في اللاوعي الاجتماعي الغربي خوفا مستمرا ويثير حفيظة رجال السياسة كلما قوى النفوذ العثماني ، فمنذ انكسارات العرب في بواتييه على "يد شارلمان" وتراجع السلطان سليمان القانوني أمام صمود فيينا . شعر الغرب بانتمائه المسيحي بأنه مهدد بوجوده كلما قام زعيم او دولة عربية اسلامية بإعداد نفسها لقوة عسكرية مواجهة كما كان واقع الحال بالنسبة لمحمد علي باشا وابنه ابراهيم وكذلك لجمال عبد الناصر .

من هنا كان الخطر التاريخي الغربي (فرنسا وبريطانيا) على تقسيم العالم العربي والاسلامي بعد الحرب العالمية الاولى قطعة، قطعة حتى لا تقوم له قائمة ، وتصبح امكانية الوحدة شبه مستحيلة نظرا لنشوء المصالح الاقتصادية والسلطوية المحلية لكل بلد، التي تتكفل هي بفشل المشروع الوحدوي العربي ، وقد تعزز ذلك مع اكتشاف النفط القرن الماضي في شبه الجزيرة.

أصبح الخطر التاريخي على العربي مدعوما بدوافع اقتصادية ولذلك كانت الهمجة الامريكية على الفرق بالذات وعلى العالم العربي والاسلامي موجودة في المخطط الامريكي الاستراتيجي .

ولكن انتظرت مناسبة لكي تفجرها، وهذا ما حصل باستثمارها لحدث 11 سبتمبر 2001 لكي تبرر تحركها .

ما يدعم مغامرة أمريكا انها تعلم مسبقا ان اضعف البلدان التي يمكن ان تواجهها هي البلاد العربية، نظر لأن شعوبها لاتزال سجينة التقسيم الغربي الذي حصل بعد الحرب العالمية الاولى.

الخطر في الموضوع ان امريكا لا تقوم بحملة عسكرية محض على غرار التتر والعثمانيين انما تقدم نفسها بمشروع حضاري لم يتهيأ العالم الاسلامي ، فهي الى جانب القوة العسكرية والمكاسب الاقتصادية تحمل دعوة تبشيرية بالديمقراطية واحترام حقوق الانسان بالإضافة الى تحرير المرأة .

ومادام لا يوجد مشروع حضاري عربي يواجه المشروع الامريكي فإن المشكلة ستبقى قائمة، وسيواجه عندئذ الفكر الاسلامي معضلة لم يسبق انه قد مر بها.

فمنذ احتلال امريكا للعراق قويت العودة الى السلفية أكثر والى اقرار العديد من الشبكات الارهابية . ودمرت على مدى السنوات العشرة الاخيرة مدنا وبلدات في العراق وسوريا وليبيا ..

ان التعامل مع الضعف والقوة كنقيضين في العلاقة الاجتماعية وبين البلدان يخضعان لمبدأ الاخصاء والفحولة وفقا لوصف البروفيسور حب الله . الصراع بين الدول كان يؤدي للتفاخر بالنصر واعتباره مظهر

أن "الهوام النرجسي" لرأس المال يصبح بمثابة الطوطم الذي يحل مكان الاخر الكبير ، الروحانية التي ترافق الدولار تعود الى وعد بالسعادة يتعدى الحدود البشرية.

ان العالم العربي قديما وحديثا غزاه محتلين عديدين كان ابرزهم التتار والاتراك الذين انتصروا على العرب عسكريا ، ولكن لم يكن لهم تاريخيا حضاريا لذلك انتصروا على المسلمين ولكنهم لم ينتصروا على المشروع الحضاري السائد حينها وهو الاسلام، فأسلموا وذابوا في الخضم الثقافي الاسلامي .

كان العثمانيون بحاجة للعرب فاقتبسوا منهم أكثر انجازاتهم الحضارية بما في ذلك الاحرف العربية وبعض المفردات التي لم يكن لها وجود مسبقا لديهم مثل (حرية – حكومة – – مواطن)

لقد بقي الهاجس الاسلامي يشكل في اللاوعي الاجتماعي الغربي خوفا مستمرا ويثير حفيظة رجال السياسة كلما قوى النفوذ العثماني

هنا كان الخطر التاريخي الغربي (فرنسا وبريطانيا) على تقسيم العالم العربي والاسلامي بعد الحرب العالمية الاولى قطعة، قطعة حتى لا تقوم له قائمة ، وتصبح امكانية الوحدة

آمن من مظاهر الرجولة الى المنكسر الذي ينصاع لحكم القوة ويدخل في العبودية ، هذه ميزة الانسان إما ان يذبح اخيه الانسان دون الاكتفاء بالنصر، بل يسخّر المهزوم لعبوديته.

ان الاخصاء المتخيل الذي يكثر اللقاء مع مفاعيله في العمل النفسي العيادي في البلاد التي تتعرض للحروب، حيث ان الفحولة التي يتباهى بها الرجال لا تقتصر على العمل الجنسي، انما لها مظاهر اجتماعية ومواقف رجولية من أهمها القتال والمبارزة ونزعات العنف التي تطبع السلوك بصورة كبيرة .

لا يمكن الفصل والفخر بالبطولة الوطنية ، وما بين التعبير عن ذلك في التملك برغبة النساء، وفقا لرأي البروفيسور حب الله (ص14)

فعندما تخيل العرب ان امريكا خصيت قوتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ولم يحسبوا حساب للنظام الديمقراطي الذي هو اساس الوحدة الامريكية لأنه من دونه لا يوجد شعب أمريكي موحد، ومن دونه أمريكا ستقع فريسة حرب كلية لامحالة، وهذا خطر يهدد الاميريكان على الدوام من الداخل الامريكي .

العبارة الاهم التي تؤكد على المرض السياسي في عالمنا العربي المتمثل بضيق الأفق الديمقراطي ، يقول حب الله : مزيدا من الديمقراطية العربية أمضى من السلاح النووي الاسرائيلي .

في الكتاب نجد تأكيد ملفت من البروفيسور حب الله على أهمية ثقافة الحياة ، والموت كي لا يتحول الاستشهاد الى انتحار ، كما يؤكد الكتاب على سمات القائد المنقذ للأمة ، وقد أشار "عدنان حب الله" في الكتاب إلى هناك انظمة عربية سائرة في اتجاه التطبيع الغير معلن مع اسرائيل، كما أشار رحمه الله(حب الله) في قراءته للأنظمة العربية الهشة ، وحيث اليوم والتطبيع أصبح اليوم حقيقة، كما حصل مؤخرا في اتفاقيات التعاون مع اسرائيل من الامارات والبحرين ، فباتت الامور متكشفة ودفاعات الدول الموقعة على التطبيع تصرح عن موقفها بقوة ، في حين قبل سنوات كانت تشعر بالحرج والحياء من شعوبها ومن الرأي العام، فكلما تقهقر البنيان العربي كانت سيناريوهات التطبيع متحققة .

الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع طويل الأمد ، هذا الصراع الذي خُطط له منذ أواسط القرن التاسع عشر في حين كنا لانزال نعيش في آفاق الجهل العثماني .

ان الصراع مع اسرائيل وفق ما ذكر حب الله في كتابه الحدث السياسي له جوانب متعددة ، والألم يرافقه تأثير نفسي على المجتمع الاسرائيلي سيبقى يتمدد .

يطرح البروفيسور عدنان حب الله وجهة نظر حكيمة بأن الصراع مع اسرائيل يجب ان يتجلى بالصراع الفكري الثقافي ، بحيث تصبح وزارة المقاومة هي وزارة الثقافة وليست وزارة الدفاع، ورجال المقاومة في المستقبل القريب وفق ما عبر عنه "حب الله" في كتابه ستكون المقاومة مسؤولية رجال الفكر والعلم والدين المستنير، ولكي يتحقق ذلك لابد من تحول الخطاب السياسي والديني ليصبح محوره خطاب حرية و ديمقراطية وانفتاح على الاخر .

يشير البروفيسور "عدنان حب الله" في ص 176الى ان مشروع العدو الصهيوني مشروع "شارون" هو مشروع موت شبه انتحاري للكيان الصهيوني بحسب تحليلات مفكرين يهود وغير يهود في العالم ولذلك الموت في مشروع شارون على غرار "ميدوس" أما عند الفلسطينيين، الحجارة هي تعبير رفض سلمي في صنعة مشروع سلام ، لأن الحجر هو أساس البناء ، من هنا فهم شارون من ذلك وهذا ما يفسر استفزازته المتعددة لاجتذاب الفلسطينيين الى ساحة حرب تمكنه من استعمال ترسانته المدمرة واستعمال اساليبه المعهودة، ودفع ذلك المجتمع الاسرائيلي الى التكاتف حوله كمنقذ .

شبه مستحيلة نظرا لنشوء المصالح الاقتصادية والسلطوية المحلية لكل بلد

ما يدعم مغامرة أمريكا انها تعلم مسبقا ان اضعف البلدان التي يمكن ان تواجهها هي البلاد العربية، نظر لأن شعوبها لاتزال سجينة التقسيم الغربي الذي حصل بعد الحرب العالمية الاولى.

مادام لا يوجد مشروع حضاري عربي يواجه المشروع الامريكي فإن المشكلة ستبقى قائمة، وسيواجه عندئذ الفكر الاسلامي معضلة لم يسبق انه قد مر بها.

ان التعامل مع الضعف والقوة كنقيضين في العلاقة الاجتماعية وبين البلدان يخضعان لمبدأ الاخصاء والفحولة وفقا لوصف البروفيسور حب الله .

ان الفحولة التي يتباهى بها الرجال لا تقتصر على العمل الجنسي، انما لها مظاهر اجتماعية ومواقف رجولية من أهمها القتال والمبارزة ونزعات العنف التي تطبع السلوك بصورة كبيرة .

عندما تخيل العرب ان امريكا خصيت قوتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ولم يحسبوا حساب للنظام الديمقراطي الذي هو اساس الوحدة

اما مشروع العربي فهو مشروع حضاري أخوي يبشر به الاسلام ، وهذا ما لاحظه التتار الذين كانوا يحملون مشروع موت وكانوا انتحاريين في المعارك، اذ وجدوا في الاسلام مشروع سلام فدخلوا جميعا في الاسلام، تماما مثلما فعل الرومان الذين انتقلوا من عهد القياصرة والغرور والعنجهية العسكرية، واستعباد الشعوب الى اعتناق المسيحية ، والمقصود بذلك وفقا "لعدنان حب الله" ليست الدعوة الى الدين انما اكتشاف مشروع انساني حضاري من داخل الدين ، فالجواب بالعنصرية على ما هو عنصري هو خروج عن الدين ، إذا كان يدعو الى الاخوّة والمساواة والجوانب بالموت على الموت، هو خروج عن الحياة لأنه ينفي من له الحق في الحياة .

هناك وقفة هامة في الكتاب حول شخصية شارون بالإشارة إلى أن اعماله تشكل حلقة من حلقات تحقيق المشروع الصهيوني ، فهو صادق في طرحه بأن اسرائيل وجدت بالقوة ولا يمكن ان تستمر الا بالقوة .

الا ان تناقضات المجتمع الاسرائيلي من الداخل كبيرة ، كما ان "حب الله" لقد اشار الى نزعات شارون الاجرامية في كثير من العمليات في غزة وغيرها الى ان أظهرت الى العالم اجمع في مخيمي صبرا وشاتيلا في لبنان، لقد كان "شارون" في كل تصريحاته حبيس الهوام الاجرامي، إلى ان يقتل دائما أكبر عدد ، فعلاقته مع الاخر هي علاقة عددية مجردة من كل انسانية لان حصر قتل الاخر في العدد هي عملية حسابية تنفي انسانية الاخر بقدر ما تنفي انسانية القائل ، ولكن الفلسطيني قلب المعادلة على شارون ، فما بين الضعيف والقوي ما بين الحق والباطل الشرعية واللاشرعية، وضع اسرائيل بأجمعها في موقع دفاعي ، ليس فقط على امنها، انما عن واقع المشروع الصهيوني الذي كان سببا لوجودها .

لنجد اصوات اسرائيلية مدافعة عن الفلسطينيين، وتصدح بالاحتجاج على عودة اليهودي الى فلسطين وهو لم يعرف بها، معتمدا على النص المقدس فقط، هذا النص المقدس الذي يقفز فوق الواقع لأنه خارج اطار الزمن، لذلك يتطلب تطبيقه انعدام التاريخ.

هذا الانعدام بحسب المنظور "اللاكاني" هو ما يميز البنية الذهانية ومالا يعترف في السجل الرمزي للتاريخ يعود كواقع من الخارج عن طريق العنف، لأنه لا يمكن ان يتحاور مع النص المقدس، فهو لا يتقبل التسوية او التعديلات و الحذف، و يترفع فوق كل منطق ويرفض الخضوع للعقلنة .

الاب الواقعي الذي نتعامل معه في حياتنا العائلية والاب الخيالي والرمزي بما يحمل من قيم تعود الى بداية التاريخ ، تلك هس سمات القائد المنتظر الذي تحلم به الجماهير العربية .

هو مثال للانا القوي وبديلا عن الاب المهان الضعيف العاجز عن حمايته بيته (وطنه الكبير)

علاقة المواطن العربي والقائد علاقة نرجسية هي بمثابة سراب نرجسي تكوين لا يمكن التخلي عنه.

واذا بقي الفرد حبيس هذه الدعوة التكاملية مع الانا الاعلى، يتبين حينها ظهور الحاجة الى هذا المثال الاعلى ، وذلك عندما يبدأ الطفل في ادراك واقع هذا الاب وحدوده وضعفه ، واذا تعرض هذا الاب للإذلال كما حصل في سوريا بين الذين اضطروا للهجرة من بلادهم وبيوتهم وسكنوا في مخيم الزعتري والركبان ، وبر الياس والبقاع في لبنان ، حيث بدا الاب ضعيفا عاجزا عن حماية عائلته في وجه الطبيعة من الثلوج والرياح وقيظ الصيف حر ، و حرائق طالت الخيمة او حماية الفضاء الامن وخصوصية الاسرة ..

الامريكية لأنه من دونه لا يوجد شعب أمريكي موحد

يقول حب الله : مزيدا من الديمقراطية العربية أمضى من السلاح النووي الاسرائيلي .

أشار "عدنان حب الله" في الكتاب إلى هناك انظمة عربية سائرة في اتجاه التطبيع الغير معلن مع اسرائيل

يطرح البروفيسور عدنان حب الله وجهة نظر حكيمة بأن الصراع مع اسرائيل يجب ان يتجلى بالصراع الفكري الثقافي ، بحيث تصبح وزارة المقاومة هي وزارة الثقافة وليست وزارة الدفاع

ستكون المقاومة مسؤولية رجال الفكر والعلم والدين المستنير، ولكي يتحقق ذلك لابد من تحول الخطاب السياسي والديني ليصبح محوره خطاب حرية و ديمقراطية وانفتاح على الاخر .

عند الفلسطينيين، الحجارة هي تعبير رفض سلمي في صنعة مشروع سلام ، لأن الحجر هو أساس البناء

مشروع العربي فهو مشروع حضاري أخوي يبشر به الاسلام ، وهذا ما لاحظه التتار الذين كانوا يحملون مشروع موت وكانوا انتحاريين في المعارك، اذ وجدوا في الاسلام مشروع

سلام فدخلوا جميعا في الاسلام

لقد كان "شارون" في كل تصريحاته حبيس الهواء الاجرامي، إلى ان يقتل دائما أكبر عدد ، فعلاقته مع الاخر هي علاقة عددية مجردة من كل انسانية

حصر قتل الاخر في العدد هي عملية حسابية تنفي انسانية الاخر بقدر ما تنفي انسانية القاتل

الاب الواقعي الذي نتعامل معه في حياتنا العائلية والاب الخيالي والرمزي بما يحمل من قيم تعود الى بداية التاريخ ، تلك هي سمات القائد المنتظر الذي تحلم به الجماهير العربية .

مراجع الدراسة

- عبد الكريم بكارة (2000) : تحديد الوعي ، دار العليم ، ط1، دمشق-سوريا
- عدنان حب الله (2003) : الحدث السياسي (قراءة نفسية تحليلية) ، دار القلم ، ط1، بيروت- لبنان.
- عامر رمضان أبو ضاوية (2002) : التنمية السياسية في البلاد العربية والخيار الجماهيري، دار الرواد الاولى، طرابلس – ليبيا.
- ناصر زين العابدين، ليلى عيسى أبو القاسم (2017): مفهوم الوعي السياسي تجاه الدولة والمجتمع، مجلة تكريت للعلوم السياسية، المجلد (3)، العدد (9).

- https://hkrbooks.com/2016/07/25/jacques-lacan-between-psychoanalysis-and-politics/

Butler, Judith, Ernesto Laclau, and Slavoj Žižek, 2000, *Contingency, Hegemony, Universality: Contemporary Dialogues on the Left*, London: Verso

1997. *A Clinical Introduction to Lacanian Psychoanalysis: Theory and Technique*, Cambridge, MA: Harvard University Press

---, 2004, *Lacan to the Letter: Reading Écrits Closely*, Minneapolis: University of Minnesota Press.

---, 2015, *Lacan on Love: An Exploration of Lacan's Seminar VIII, Transference*, Cambridge: Polity.

Žižek, Slavoj, 1991, *Looking Awry: An Introduction to Jacques Lacan Through Popular Culture*, Cambridge, MA: MIT Press.

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocMarselina-ReadingBook.pdf

روابط ذات صلة:

الحدث السياسي... قراءة نفسية تحليلية- البروفسور عدنان حب الله
http://www.arabpsynet.com/Documents/BR-Hoballah.PoliticalEvent.pdf

*** *** ***

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2020 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثامن)

الشبكة تطفئ شمعتها العشرون وتدخل عامها الواحد والعشرون من التأسيس

20 عاما من الكدح... 18 عاما من الإنجازات "
http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf